(5)

نيران صديقة

الزمان: 23 اغسطس 1948م

المكان: عراق المنشية

قرر مجلس الأمن وقف إطلاق النار في فلسطين في مساء 15 يوليو، ومع ذلك استمر الصهاينة في محاولة كسب أرض جديدة قبل تفعيل وقف إطلاق النار، ووصل لجمال في رئاسة الكتيبة خبر استشهاد زميله «فيليب بقطر»، بعد نجاح «س1» في صد الهجوم الصهيوني مساء 16 يوليو.

مرت أيام الهدنة شديدة الرتابة بعد ذلك، حاول «جمال» الحصول على إجازة في الأسبوع الأول من أغسطس، للتغلب على رتابة أيام الهدنة، لكن الإجازة تأجلت. عن رتابة أيام الهدنة كتب «جمال» في يومياته:

«ومضت علينا أيام الهدنة الجديدة كما مضت أيام الهدنة السابقة، كأننا ما فعلنا شيئًا؛ كأنما الدماء التي سالت، كأنما الجهود التي بذلت، كأنما الأرواح التي أعطيت في سخاء، كأنما السهر الطويل المستمر، كأن أهوال المعارك في الليل والنهار، كأنها جميعًا لم تكن»

في مساء 28 يوليو كان «جمال» يركب التاج النحاسي على الكتافات، ويلمعه بفص ليمون وبعض الملح الخشن، فقد وصلت أوراق ترقيته رسميًا من القاهرة. وأصبح «الصاغ

obeikandl.com

جمال عبد الناصر حسين». ركز نظره على التاج اللامع، وتوالت برأسه الأفكار. هو كضابط بالجيش المصري يحترم هذا الشعار، لا لذاته وإنما لأنه شعار المملكة المصرية! مع ذلك كان هناك شيء في صدره دائمًا من هذا الشعار! ومن أسرة «محمد علي». نعم، كان «محمد علي» مؤسس مصر الحديثة بلا جدال، وكان ولده الأكبر «إبراهيم باشا»[22] قائدًا عبقريًا خليقًا بأن يكون خلفًا لأبيه لولا وفاته في حياة الأب! ولكن كل من جاء بعدهما من أولاد وأحفاد «محمد علي» و«إبراهيم» لم يكونوا على قدر المسئولية التي ورثوها بالدم، ولم يرثوا الخصال التي تؤهلهم لها.

بدأ الحكم العلوي الوراثي في مصر عمليًا بعد انهيار حلم «محمد علي»! فقد تمددت الدولة الفتية التي أسسها «محمد علي باشا» في مجالها العربي الطبيعي في الشام، فأمن مصر القومي يبدأ من هناك! من فلسطين وسوريا. وانتصر القائد العبقري «إبراهيم باشا» على الجيش التركي في عدة معارك، وفر أمامه الجيش التركي حتى وصل إلى «قونية» في قلب تركيا. شتت «إبراهيم» الجيش التركي وأسر كبير الوزراء (الصدر الأعظم)! فما كان من السلطان إلا أن استعان بأوروبا، فأرسلت له روسيا أسطولها لحماية الآستانة، وبدأ الأوروبيون في الضغط على «محمد علي»، حتى تصالح مع السلطان على ضم الشام والحجاز وكريت لمصر في معاهدة كوتاهية. لكن السلطان نقض العهد وحاول مواجهة «إبراهيم

(22) يرى بعض المؤرخين أن «إبراهيم باشا» كان ابن زوجة «محمد علي باشا» من زيجة سابقة، ولكن هذا الرأي ليس مدعومًا بما يكفي من القرائن.

باشا» عسكريًا من جديد، فمُنِيَ بهزيمة فادحة جعلت الطريق مفتوحًا للآستانة من جديد. وهنا قررت بريطانيا وبروسيا والنمسا وروسيا الوقوف أمام طموح «محمد علي»، فهم يريدون للرجل المريض أن يبقى مريضًا[23]! ولا تحل محله دولة قوية ذات حاكم فذ! عقدوا مؤتمر لندن للتفاهم بينهم، وأنذروا «محمد علي» بالانسحاب من الشام والأناضول مقابل ولاية مصر وعكا وراثية في أسرته، وعندما تأخر في القبول قلصوا العرض ليصبح ولاية مصر فقط دون عكا! واضطر الباشا للقبول. وتنازل «محمد علي» عن ولاية الشام مقابل حكم مصر وراثيًا في أسرته!! والسؤال هنا؛ لماذا انتفضت أوروبا لفكرة توحيد مصر والشام تحت لواء قوي واحد؟ تلك الزاوية على ساحل البحر المتوسط لم يكن مسموحًا لها بالتوحد، لأن وحدتها تخلخل ميزان القوى في العالم! وتوالى الولاة من أسرة «محمد علي»، حتى صارت مصر سلطنة، فمملكة منذ إعلان الاستقلال الصوري عن المملكة المتحدة في 1922م!

الملك «فاروق الأول» هو الحفيد الثاني لنابليون الشرق «إبراهيم باشا»، ولو كان كجده لكان «الصاغ جمال عبد الناصر» سعيدًا بوضع شارة ملكه فوق كتفه! لكنه أبدًا لا ينتمي لهذا الجد العظيم «إبراهيم باشا». كان هذا القائد ألباني الأصول مصريًا بالقلب، عروبيًا بالروح! حتى إنه أعلن لجنوده خلال حملته الأولى على الشام أنهم يقومون بمهمة توحيد العرب تحت لواء مصر،

(23) الرجل المريض هو الاسم الذي أطلقه الغرب على الخلافة العثمانية في زمن ضعفها وتحللها.

وتحرير الأرض العربية من الطغيان التركي العثماني! فأي عبقري سابق لزمنه كان «إبراهيم»؟!! كان قوميًا قبل أن تظهر الأفكار القومية العربية بسنين طوال! ورغم أصوله الألبانية! لأن القومية في قيادة مصر هي رؤية إستراتيجية، وليست نعرة قومية!

انتبه «جمال» من أفكاره على صوت انفجار ارتطام شديد رغم الهدنة، فتوقع أن يكون الصهاينة خرقوها كعادتهم، وخرج من خيمته يستعلم، فعرف أن طائرة «الجنزوري» قد سقطت بعد أن اعترضتها طائرات العدو.

في الليل، زاره «ثروت عكاشة» و«وحيد حلمي»، وعرف منهما أن اللواء «المواوي» سوف يمر على الخط الدفاعي بعد يومين. فعلق ساخرًا:

– والله؟ زيارة ميمونة لجنابه بعد وقف إطلاق النار! دلوقت بيطمن على الدفاعات؟ صحيح .. قادة الجبهات الهادئة.

بعد انتهاء مرور «المواوي»، عادت الأيام رتيبة، والليالي طويلة من جديد[24]، حتى كان يوم 23 أغسطس!! وجاءه الخبر الصاعق .. فقد استشهد البطل الأسطوري «أحمد عبد العزيز»، أول المبادرين من الجيش المصري لهذه المعركة، وأول من أدرك أنها معركة العرب المحورية، مات البطل .. وبنيران صديقة!! كان «ثروت عكاشة» هو من حمل له الخبر الكئيب.

– إزاي يا ثروت؟!! إزاي ده حصل؟

(24) سجلت مذكراته شكواه من الملل والرتابة عدة مرات خلال فترة الهدنة.

obeikandi.com

هكذا سأله «جمال» منفعلًا، فأجاب «ثروت» بوجه يعلوه حزن عميق:

- «أحمد عبدالعزيز» و«صلاح سالم» و«الورداني» كانوا راجعين بالعربية بعد مؤتمر العرب واليهود في القدس، اللي قابلوا فيه «موشي ديان»، ولما قربوا من عراق المنشية الساعة (00:20)[25] فتح عليهم النيران موقع من المواقع المصرية، واستشهد «أحمد عبد العزيز» والباقيين بخير.

- مش غلطة اللي فتح النار طبعًا! اليهود كل يوم بيعملوا خرق لخطوط الهدنة في عراق المنشية! دي غلطة ظابط الإشارة اللي مبلغش بمرورهم قبلها بوقت كافي.

- بيقولوا فيه تحقيق.

في أي من وقائع الإهمال سيتم التحقيق؟ ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، فالجيوش العربية تفتقد للحد الأدنى من الدربة والتأهيل للمعركة، فضلًا عن التنسيق بينها بقيادة أركان مشتركة. في تلك الليلة جلس «جمال» محزونًا. لم يكن البطل «أحمد عبد العزيز» منتميًا لتنظيم الضباط الأحرار، لكنه كان أيقونة محورية لحرب فلسطين، فقد كان في طليعة الضباط المصريين الذين اتخذوا قرار الحرب قبل أن تتخذه الدول العربية نفسها،

(25) التعبير عن الوقت في العسكرية يكون بالساعات والدقائق بهذا النمط، وبترقيم الأربع وعشرين ساعة بحيث لا يحتاج للتمييز بصباح ومساء، وبهذا تكون الساعة الثامنة مساءً.

obeikandl.com

وتقدموا لخوض غمارها قبل أن تتقدم الجيوش! فاستقال من رتبته العسكرية كقائمقام، والتحق بفلسطين لتدريب المتطوعين للقتال. لهذا كتب «جمال» بحروف تقطر ألمًا في يومياته:

«تألمت جدًا!! فإن أحمد عبدالعزيز كان يحب أبناءه .. وكان في عز مجده الذي لم يُجازَ عليه ولم يره الشعب ولم يستقبله .. مات أحمد عبدالعزيز وكله أمل في الحياة»[26].

البطل أحمد عبد العزيز (الثاني من اليمين)
مع موشي ديان خلال مفاوضات مؤتمر القدس قبيل استشهاده مباشرة

(26) هذا ما جاء في المذكرات تعليقًا على شهادة البطل أحمد عبد العزيز.

obeikan.com

(6)

اغتيال برنادوت

الزمان: 17 سبتمبر 1948م

المكان: القدس؛ القطاع الغربي

رغم قبول العرب واليهود بمفاوضات «رودس» التي كان مقررًا لها أن تنعقد في نهايات 1948م باقتراح من وسيط الأمم المتحدة الكونت السويدي «فولك برنادوت»، غير أن تلك المفاوضات تأجلت إلى السابع من يناير 1949م، بعد اغتيال الكونت «برنادوت» بالرصاص في القدس الغربية.

كان «جمال» يحزم شدة الميدان الخاصة به، استعدادًا للإجازة التي تأجلت أكثر من مرة، وحان وقتها أخيرًا خلال الهدنة السارية. بينما كان حديث الضباط وصف الضباط حول خبر الساعة وهو اغتيال «برنادوت» في القدس. وعندما خرج «جمال» من غرفته ليدخن سيجارة في هواء الخريف البارد، وجد الشاويش «عبد الفتاح» يشرب شايًا تحت شجرة البرتقال. حاول «عبد الفتاح» الوقوف ليؤدي التحية ولكن «جمال» ربت على كتفه وجلس بجواره على المصطبة الأسمنتية. بعد تبادل عبارات التحية، سأله «عبد الفتاح»:

- الخلق كلها بتتحدث عن قتل الخواجة بتاع الأمم المتحدة. هو اليهود قتلوه ليه يا أفندي؟ هما بيقتلوا الخواجات كمان مش العرب بس؟

obeikandl.com

- ممكن يقتلوا الخواجات يا «عبد الفتاح»، لو حد فيهم حاول يعامل العرب بشيء من العدل.

- يعني الخواجة ده كان راجل كويس يا أفندي؟

- مش للدرجة دي، لكن في الفترة الأخيرة قالهم مينفعش تاخدوا كل حاجة، سيبوا للعرب أي حاجة علشان الحرب تقف.

كان «برنادوت» ـ رغم انحيازه لليهود في اختيارات توقيت الهدنة لخدمة مصالحهم ـ قد تبنى طرحًا جديدًا يمثل الحد الأدنى الذي يساعد ـ في رأيه ـ على قبول العرب بقرار التقسيم، لكن طرحه لم يكن على هوى اليهود. فقد تضمن رسم حدود دولية نهائية لدولة إسرائيل على أساس خطوط التقسيم، بعد تعديلها بترك النقب الجنوبي للفلسطينيين حتى يكون هناك اتصال بين الأراضي العربية في آسيا وأفريقيا، مقابل منح الإسرائيليين منطقة الجليل. كما اشتمل طرحه على عودة النازحين الفلسطينيين الذين تركوا قراهم بسبب الحرب، والحد من هجرة اليهود المستمرة لفلسطين بوضع ضوابط لها، وكذلك وضع القدس ضمن الدولة الفلسطينية. لهذا اختار اليهود قتله في القدس، بالرغم من مكانته كأحد أفراد الأسرة المالكة السويدية.

بعد هذا الحوار بيومين كان قائد ميليشيا آرجون «مناحم بيجن»، مع قائد ميليشيا شتيرن «إسحق شامير»، يجلسان على مائدة مستديرة مع قائد العمليات اليهودي في الحرب الكولونيل «إيجال آلون». بدأ الكولونيل حديثه قائلًا:

obeikandl.com

- المفروض أن هناك قيادة عمليات هنا، فكيف تمت عملية تصفية الكونت «برنادوت» دون معرفتي؟

- كانت الفرصة سانحة ولم يكن هناك وقت للمداولات المطولة، لهذا اتفقت أنا و«شامير» على التنفيذ، وكلفنا قائد وحدة القدس «زتلر» بالتنفيذ.

هكذا أجابه «بيجن» ساخطًا، فقد كان يتوقع الشكر على هذه المبادرة، ثم استأنف قائلًا:

- كولونيل .. لقد تفوقنا على العرب في هذه الحرب لأننا لم نكن ننتظر مثلهم، ولم نكن نجيب على المهمات العاجلة بمثل العبارة التي اشتهرت بين صفوفهم «ماكو أوامر»! المبادرة السريعة ومرونة التشكيلات هي التي صنعت نصرنا أمام جيوش الدول العربية مجتمعة.

- بيجن .. أنا لست معترضًا على العملية قطعًا! برنادوت يستحق الموت ألف مرة، فقد قدم طرحًا لم يجرؤ أحد من قبله على تقديمه، طرحه كان كفيلًا بتقويض أحلام إسرائيل لتصبح محدودة في بقعة يهودية وسط محيط عربي من كل جانب! اعتراضي بالأساس على أسلوب التنفيذ المكشوف جدًا! كان بوسعنا أن نخطط بشكل أكثر دقة نتجنب به الحرج أمام المجتمع الدولي، وننسب الجريمة للعدو العربي.

obeikandl.com

- هه.

هكذا اصطنع «شامير» ضحكة ساخرة، وهو يقوم من مقعده ليواجه الكولونيل وينحني فوق الطاولة قائلًا:

- لقد حررنا هذا الوطن بإغراء المجتمع الدولي تارة، وبالإعراض عنه تارة! إذا اعترضت إسرائيل مشكلة وجودية مثل مشكلتها مع الإسكندنافي المنمق «برنادوت»، فليذهب المجتمع الدولي للجحيم يا سيدي.

- صحيح جدًا كولونيل. تحالفنا مع المجتمع الدولي من أجل إسرائيل، ومن أجلها يمكننا أن نثير حنقه، لا يهم على الإطلاق.

هكذا قال «بيجن» مدعمًا كلام «شامير»، فعلق «آلون»:

- ولكننا من أجل هذا المجتمع الدولي اضطررنا لإعلان شتيرن جماعة إرهابية واعتقلنا العشرات من عناصرها المسلحة!

أجابه «شامير» بلهجته الساخرة:

- أنا قائد شتيرن يا كولونيل وأنا أجلس أمامك الآن! وفوق هذا فلديَّ وعد قاطع من وزير الداخلية بإطلاق سراح رجالي خلال أسابيع قليلة. أسابيع في الحبس مقابل رأس «برنادوت» .. أليست صفقة جيدة يا صاحبي؟

obeikandl.com

لا بأس يا أصحاب الرؤوس الصلبة. الآن يدور حديث في أروقة الأمم المتحدة حول من سيخلف «برنادوت»، رجالنا هناك يقولون أن المرشح لخلافته هو «رالف بانش». لنرى كيف سيتصرف الوسيط الجديد.

هكذا قال «آلون» وقد يئس من إقناعهما بمنطقه، فأجابه «بيجن»:

سيكون طرحه مختلفًا. لا بد أنه تعلم من رأس «برنادوت» الطائر. لهذا نتوقع تكريمًا كبيرًا على ما أنجزناه وليس تقريعًا يا كولونيل.

وبالفعل كان «بانش» هو الوسيط الجديد، وقد جاء بأطروحة جديدة تمامًا؛ السلام مقابل السلام .. ولا حديث عن الأرض أو عودة النازحين الفلسطينيين (اللاجئين فيما بعد)، ولا عن عروبة القدس بطبيعة الحال!

obeikandl.com

الكونت السويدي فولك برنادوت، وسيط الأمم المتحدة الأول في حرب فلسطين، والذي اغتالته اليهود

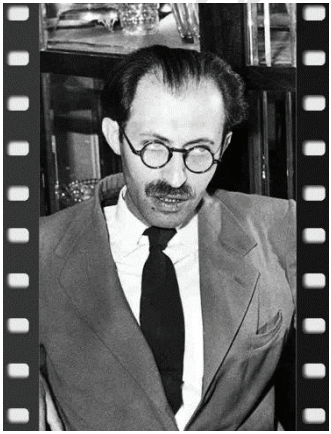

بيجن بعد الحرب، حين خلع زي عصابات أرجون ليصبح سياسيًّا بارزًا في إسرائيل

منشور القبض على قيادات عصابة شتيرن، يتوسطهم إسحق شامير (رئيس وزراء إسرائيل السابع فيما بعد)، وهي المسرحية التي صنعتها إسرائيل حول مقاومة الإرهاب بعد اغتيال برنادوت وأفرجت عن المتهمين بعد أسبوعين من الحكم الوهمي بسجنهم ظهر الإرهاب اليهودي متزامنًا مع ظهور جماعات العنف الإسلامية، ولم يكن هذا مصادفة، بل ترتيب محكم. فقد صار كل منهما مبررًا لوجود الآخر!

obeikandl.com

(7)

وسط الألغام

الزمان: 21 سبتمبر 1948م

المكان: طريق غزة ـ بئر سبع

عاد الصاغ «جمال عبد الناصر» من إجازته القصيرة التي حصل عليها، وكانت سعادته بها كبيرة، فقد افتقد «تحية» والصغيرة «هدى»، وكان مللّه من رتابة حياة المعسكر خلال فترة الهدنة قد وصل لأقصاه، حتى إنه قال لزوجته:

- اكتشفت خلال الهدنة أن النيران هي مؤنس وحشة المقاتل. افتقدت صوت ضرب النار.

- حرام عليك يا «جمال» .. ده أنا ما صدقت سمعت خبر الهدنة، من يوم ما سافرت ولحد إعلان الهدنة مكنتش بنام تقريبًا.

أمسك «جمال» يدها بحنان بالغ وهو يجذبها لتجلس إلى جواره ويقول:

- عاوزك تجمدي شوية يا «تحية»، لازم تتعودي على كده. جوزك ظابط في جيش مصر، مش بس مدرس في كلية الإدارة[27]، واحنا في حرب.

(27) كان عبد الناصر قبيل الحرب مدرسًا في كلية الإدارة، ودارسًا في كلية الأركان، وسوف يصبح بعدها مدرسًا في كلية أركان الحرب.

obeikandl.com

– وإمتى هتخلص الحرب؟ «هدى» بتسألني دايمًا السؤال ده؟

شخص «جمال» ببصره نحو النافذة، حيث كان قرص الشمس يحبو نحو الغروب في تلك الأمسية الخريفية. أشعل سيجارة، ونفث دخانها مع الكلمات، وبصوت كأنه يحدث به نفسه أكثر مما يحدثها:

– السؤال مش إمتى .. السؤال هتخلص على إيه؟

ثم استأنف وقد حول عينيه لينظر لزوجته في عينيها:

– المعركة في كل الأحوال هتخلص .. لكن حربنا مع الصهاينة واللي ورا الصهاينة طويلة قوي يا تحية.

– ربنا ينصرك ويعينك.

هكذا كان حديثها معه ينتهي دائمًا، بذلك الدعاء «ربنا ينصرك»، كأن الله العارف بالقدر الذي أعده لجمال، وهبه تلك الزوجة الداعية له دائمًا بالنصر والسداد. وكأن لطف الله شاء أن يمنحه بتحية وحنانها الدافق عوضًا عن حنان والدته الذي حرم منه مبكرًا جدًا.

زار «جمال» عبد الحكيم في المستشفى، فقد عاد للقاهرة نتيجة لمضاعفات الشظية التي أصابت يده في فلسطين، نتيجة لتلوث الجرح. وانتهت أيام الإجازة المعدودة وعاد «جمال» للجبهة في مطلع سبتمبر، ليجد تكليفًا ينتظره باستطلاع موقع «عراق الخراب» في اليوم التالي. فخرج للاستطلاع مع «عبد الفتاح فؤاد» و«عبد العزيز كامل»، وفي رحلة العودة طلب «كامل» من سائق الهامر أن يسلك طريق غزة ـ بئر سبع، فاعترض «جمال»

obeikandl.com

لعلمه من الخرائط أن قوات المقاومة الشعبية التي سبقت الجيوش النظامية قد زرعت بالطريق ألغامًا ، لعجزها عن الدفاع عنه بإمكاناتها القليلة ، لكن «كامل» قال له أنه يعرف الطريق جيدًا.

لم تمر ساعة حتى كان «عبد الفتاح» يصرخ بالسائق فجأة: «اقف». ضرب السابق مكابح السيارة رباعية الدفع بقدمه بقوة فأصدرت العجلات صوتًا عاليًا وهي تحتك بصخور المدق. نظر له «جمال» و«عبد العزيز» بدهشة ، فأشار بيده لحطام سيارات على بعد مائتي متر من موقعهم ، وهو يقول:

- عربيات اليهود دي مش مضروبة بمدفعية ، باين من شكل الحطام إن اتجاه الانفجار من تحت العربية. احنا في منطقة ألغام مضادة للمركبات فعلًا يا «جمال».. إيه العمل دلوقت يا سي «كامل»[28]؟

- أنا لسة معدي ع الطريق ده من يومين ومكانش فيه الحطام ده. إنت متأكد إننا على طريق غزة ـ بئر سبع يا ابني؟

هكذا سأل «عبد العزيز كامل» السائق، فعاجله «جمال» قائلًا:

- هو الطريق مظبوط.

انفجر «عبد الفتاح» قائلًا:

(28) واقعة الدخول في حقل ألغام ثم الخروج منه حقيقية كما جاء بالمذكرات

obeikandl.com

- الزقها في العسكري الغلبان، ما قالك «عبد الناصر» إن الطريق متلغم، ومنطقة الألغام ظاهرة في الخرايط كمان، خرجنا بقى يا أبو العريف!

- يعني هو أنا مش راكب معاكم يا سي ...

قاطعهما «جمال» ليوقف المعركة التي كادت تنشب بينهما وهو يقول:

- مش وقته يا جماعة .. خلونا نركز ونشوف هنعمل إيه.

- معايا ذخيرة كاشفة، ننتظر نزول الليل ونضربها علشان القوات المصرية تتنبه لمكاننا.

هكذا اقترح «كامل» مدفوعًا بشعوره بالذنب نحو زملائه، فنظر له «جمال» متعجبًا من الاقتراح!! وهو يجيبه قائلًا:

- أو الصهاينة يوصلوا لنا الأول!

ترجلوا محاذرين من الابتعاد عن السيارة، مرت نصف ساعة أحرقوا خلالها لفافات تبغ عديدة والجميع يفكر في مخرج من هذه الورطة. وكان رأي «عبد الفتاح» ألا يتحركوا، حتى يصل إليهم من يعرف خريطة الألغام الأرضية ويخرجهم، لكن زميليه اعترضا بأن الطريق غير مأهول بدرجة كبيرة. وأخيرًا تكلم «جمال» قائلًا:

- اللي بيلغم طريق بيسيب أقصى اليمين أو أقصى اليسار آمن لمرور المركبات الصديقة.

obeikandl.com

– ده بافتراض إن اللي زرع يعرف القاعدة دي، وحتى لو يعرف؛ هنعرف منين هو ساب اليمين ولا الشمال؟

بدأ الجدل من جديد، حول المخاطرة بالانتظار أو المجازفة بالعبور من طريق يختاروه، وأخيرًا قفز «جمال» للمقعد المجاور للسائق وهو يقول:

– أنا هتحرك، والعربية هتتحرك بأمري لأني الأعلى رتبة. اللي عاوز يفضل هنا هو حر.

تبادل زميلاه النظرات، قبل أن يركبا في المقاعد الخلفية، ويطلب «جمال» من السائق أن يسلك أقصى اليسار، بناءً على خريطة كروكي رسمها، فصار الغالب لديه أن اليسار هو الطريق الصحيح.

تحركت الهامر وكأنها تزحف فوق الطريق، وكانت رعدة تنتاب جسد السائق كلما اقترب من منطقة الحطام. لاحظ «جمال» رعدته والعرق الذي يتفصد من جبينه، فطلب منه الوقوف فورًا، واتخذ هو موقع القيادة. كانت علامات التوتر تبدو على وجه «جمال» خلال فترة الجدال، لكنها زالت تمامًا في اللحظة التي توصل فيها للقرار. داس على بدال الوقود بقوة لتعبر السيارة منطقة الحطام وتبتعد عنها بسرعة، فتنفس الجميع الصعداء.

وقفز «كامل» على كتفي «جمال» من خلف يقبل وجنته وهو يقول:

– عفارم يا «جمال» .. عفارم. عرفتها إزاي دي؟

ابتسم «جمال» وهو يقول:

obeikandl.com

- أبدًا .. افترضت إن اللي زرع الألغام ذكي كفاية، وطلع ذكي.
- إزاي؟
- لو اليهود كانوا في موقعنا، كانوا هيفكروا إن اليمين ـ للقادم من غزة ـ هو الاختيار الصح لأن المسلمين بيختاروا دايمًا اليمين دليل على السلامة والاختيار الصحيح. فافترضت إن اللي زرع لازم يكون ذكي ويعمل العكس، وطلع اليسار هو سكة السلامة.

«اليسار هو سكة السلامة» .. هل كان «جمال» يعرف ما لهذا الاختيار من أثر في حياته مستقبلًا؟

السيرة تهية كاظم

obeikandl.com

(8)

خربة المجحز

الزمان: 29 سبتمبر 1948م

المكان: خربة المجحز، بالقرب من بيت جبرين

صدرت الأوامر للكتيبة السادسة بالتحرك واتخاذ موقع جديد على الطريق بين «عراق المنشية» و«بيت جبرين»، وتحرك «جمال» للاستطلاع ثم تبعته سرايا الكتيبة. وقام قائد الكتيبة بإجازة بعد نهاية الهدنة في 24 سبتمبر، فتسلم «عبد الناصر» قيادة الكتيبة بالإنابة. وفي ليلة 28 وصلته إشارة من الحاكم الإداري المصري لبيت جبرين، تقول بأن العدو قد احتل «خربة المجحز»، وأن الحاكم الإداري وبعض المتطوعين يناوشون العدو، بغية تأخير بنائه للتحصينات. رفع «جمال» الإشارة لقيادة اللواء الرابع (الذي تتبعه الكتيبة السادسة)، وجاءه الأمر بالتحرك والتعامل مع العدو مع آخر ضوء من اليوم التالي. جمع «عبد الناصر» قادة الكتيبة على خريطة الرمال، وبدأ في سرد الخطة التي وضعها:

- الهدف هو تحرير خربة المجحز، فيه حوالي ثلاثين من عصابة شتيرن احتلوها، والمسلحين العرب في مناوشات معاهم من امبارح. هنتحرك بخمس حمالات «بيرن»[29]. شاويش عبد الفتاح.

(29) ناقلات الجنود بيرن الإنجليزية.

- تمام يا أفندم.
- البيرن بقيادتك. هتتحرك معانا فصيلتين المشاة بقيادة الملازم أول «الشاهد» و«حسن التهامي»، وهتتحرك معانا جماعة الهاون 4.2 بوصة وجماعة «فكرز»[30] بقيادة اليوزباشي «الحديدي» .. يوزباشي «يكن».
- تمام يا أفندم.
- عربيتين الهامر هيتحركوا بقيادتك، وأنا طالع معاك في واحدة منهم.
- الهجوم مع آخر ضوء يا أفندم؟

هز «جمال» رأسه نافيًا وهو يقول:

- لأ .. مش هنتظر لآخر ضوء. اليهود عارفين إننا جيوش نظامية وعلشان كدة بيكونوا جاهزين قوي مع أول وآخر ضوء. شمس العصر هيكون اتجاهها في صالحنا. ساعة الصفر سعت 16:00 بالظبط.

تابع «جمال» انتباه ضباطه وصف ضباطه للتفاصيل، قبل أن يركز نظره من جديد على خريطة الرمال أمامه ويقول مفصلًا:

- من الساعة صفر للساعة صفر زائد عشرة نيران الهاون ونيران الفكرز. عشر دقايق متصلة بنيران

(30) بنادق فكرز الآلية الثقيلة إنجليزية الصنع.

obeikandl.com

كثيفة. وبعدين الحمالات هتتحرك من اليمين نحو الخربة في أعلى التلة. وإنت يا «شاهد» مع المشاة من الجانب الأيسر. فيه أي أسئلة؟

ناقش بعض التفاصيل مع قادة السرايا، ثم تركهم للاستعداد، وفي الثانية بعد ظهر اليوم التالي تحركت القوات من نقطة التجمع، وكان «جمال» في واحدة من سيارتي الهامر، بعد أن أرسل إشارة لقائد قوات المتطوعين العربية بانسحاب عناصره خارج المجحز قبل قصفها.

أشرفت القوات على تلة المجحز، وكان «جمال» يراقب ساعته حتى أشارت عقاربها لساعة الصفر، فبدأت نيران القذائف ومدافع الماكينة تصم الآذان، ومرت الدقائق العشرة سريعًا مع الترقب، ومرت ثلاثون ثانية ولم تتحرك قوات المشاة ولا الحمالات. حاول «جمال» الاتصال بالمشاة لكن الإشارة كانت سلبية تنم عن انقطاع الاتصال بهم، وتلقى إشارة من قائد الحمالات:

- هناك خور يحيط التلة ويمنع تقدم الحمالات. انتهى.
- استمر في البحث عن منفذ للبلدة بالالتفاف حول الخور، لا تلتزم بالخطة في مكان الاقتحام واقتحم من أي موقع ممكن. انتهى.

أشعل سيجارة وهو قلق لعدم تقدم قوات المشاة، ومرت ساعة ونصف من القتال قبل أن يتلقى التمام من قائد الحمالات الشاويش «عبد الفتاح»، تفيد بنجاحها في النفاذ للبلدة والتعامل مع العناصر المعادية فيها. تقدم «جمال»

obeikandl.com

بسيارة الهامر نحو البلدة، وتم التأكد من تحريرها من عناصر الصهاينة، قبل أن يطلب «جمال» حضور قائمقام الخليل «محمد عبد الهادي» ليسلمه البلدة المحررة، فقد كانت الأوامر تقضي بتسليم البلدة للمتطوعين والعودة لنقطة التمركز فور تحريرها.

كان المشاة قد دخلوا المعركة بعد أكثر من نصف ساعة من بدايتها، فاستدعى «جمال» قائدي فصيلتي المشاة «صلاح الشاهد»، و«حسن التهامي»، وسألهما عن سبب عدم التنفيذ وفقًا للخطة، فعرف منهما أن جماعة من عناصر العدو كانت كامنة عند المدخل الأيمن للقرية بمدافع ماكينة لترصد الحمالات، فتعاملوا معها وأمنوا اليمين.

كانت المشاعر رائعة في البلدة المحررة، تعانق الجنود مع المتطوعين العرب بفرحة غامرة، وكانت معنويات جنود الحمالات في السماء لأنهم اشتبكوا مع اليهود في معركة مفتوحة وأحرزوا نصرًا واضحًا. وعاد «جمال» بالقوة كاملة لنقطة التجمع دون خسائر في الأرواح، وبعد أن حمَّلوا العربات بالأسلحة التي غنموها من العدو، بعد أن وزعوا الأغذية والمهمات على المتطوعين العرب.

في نقطة التجمع وقف «جمال» أمام الكتيبة كاملة في طابور تمام العودة، وبعد التمام شكر همم الرجال العالية، ثم قال وهو يربت على ذراع الشاويش «عبد الفتاح»:

– النهارده كان يومك إنت ورجالتك يا وحش. عفارم يا «عبد الفتاح».

obeikandl.com

ثم اتجه إلى حيث يقف اليوزباشي «الحديدي» وجماعة الفيكرز، ورفع خوذة من خوذات الصهاينة، وفي مقدمتها ثقوب «دفعة» من رصاصات الماكينة، وقال:

- مجموعة الفيكرز كمان النهاردة كانوا عتاولة يا حضرة اليوزباشي. جبتوهم بالفيكرز على بعد 2000 متر. الإنجليز اللي عملوه ميعرفوش يضربوا بيه من المسافة دي. الهاون كمان مهد الأرض للاقتحام بامتياز وتفوق على مدافع «لافاييت» المعادية، رغم فارق الإمكانات. والمشاة اللي اتأخروا علشان يحموا جنبنا كمان أحسنوا التعامل مع الموقف. عفارم يا رجالة[31].

سلم «جمال» الخوذة التي التقطها من أرض المعركة لليوزباشي «الحديدي» ثم تبادل معه التحية العسكرية، قبل أن يتجه لخيمته مبتهجًا.

في المساء زاره «عبد الحكيم»، وعانقه مهنئًا وهو يقول:

- مبروك يا «جمال». أخبار اللي عملتوه النهارده في خربة المجحز وصلت لنا.

- اللّه يبارك فيك يا «حكيم». كان يوم رائع فعلًا! بس عارف الدرس اللي طلعت بيه النهارده إيه؟

لم ينتظر إجابة، واستمر قائلًا:

(31) خطة المعركة ووقائعها ونتيجتها حقيقية.

obeikan.com

ناصر 48

- النصر على الصهاينة مش محتاج معجزات. طبقنا العلم اللي اتعلمناه، ونفذنا الخطة بانضباط، وبحسن تصرف من القادة في نفس الوقت. وانتصرنا!! لو وفرنا للجندي العربي ظروف النصر هينتصر يا «حكيم» .. مؤكد هينتصر.

obeikandl.com

مدفع الهاون (مورتار) المستخدم في الحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين

مدفع الفيكرز إنجليزي الصنع المستخدم في حرب فلسطين

obeikandl.com

obeikandl.com

(9)

إحباط

الزمان: 3 أكتوبر

المكان: نقطة التجمع، بيت جبرين

– ده اسمه تهريج مش حرب.

ألقى «جمال» السماعة من يده وهو ينتفض من الغضب. دخل اليوزباشي «لطفي واكد» على الصوت المرتفع، واتجه لجمال يسأله عن سبب هذه الثورة التي ترتسم معالمها على عضلات وجهه وعنقه التي كانت تتقلص بعنف، وجبينه المتفصد عرقًا.

– الصهاينة احتلوا المجحز تاني.

– إزاي؟

أخبره «جمال» وهو ينتفض غضبًا وينفث دخان سيجارته مع الكلمات، بأن قائمقام الخليل ترك فيها بعد التحرير بضعة أفراد من المتطوعين العرب، ولم يكن عددهم كافيًا لحمايتها، رغم موقعها المرتفع والمشرف على معسكر الصهاينة. فتمكن العدو من دخولها وقتلوا المتطوعين، ويحاولون الآن وضع الأسلاك والتحصينات. وهو يطلب أمرًا بالهجوم منذ ساعتين ولا مجيب. سأله «واكد»:

– قائد الكتيبة فين؟

obeikandl.com

- ملخوم وخايف ياخد قرار، واللواء «المواوي» في بيت لحم ومش عارفين نوصله.

صمت «لطفي واكد» وقد أصابه من الغضب والإحباط ما أصاب «جمال»! هاهي النقطة الهامة التي حرروها منذ يومين تحتل من جديد. قطع «جمال» الصمت بقوله:

- فيه كتايب من اللواء الرابع كانت لها سرايا قريبة، بلغناها، قالوا دي مسئولية لواء المتطوعين. ولواء المتطوعين بلغناه فقال دي مسئوليتنا احنا (يقصد الكتيبة السادسة)، والمسئولين عننا مش عايزين ياخدوا قرار[32]. بنتعازم في الحرب يا «لطفي». تبقى حرب ولا تهريج؟

- إنت قلت الكلام اللي أنا سمعته ده وإنت بترد على إشارة تليفونية يا «جمال»؟

قالها «واكد» مشفقًا من نتيجة ذلك الغضب، فأجابه «جمال» ملوحًا بيده في الهواء:

- أيوة قلت .. واللي يحصل يحصل.

أشعل سيجارة ثانية من الأولى وهو يضيف موضحًا ما كان بوسعه القيام به حتى الآن:

- طلبت من المتطوعين يناوشوا اليهود ويمنعوهم من إقامة دفاعات أو أسلاك، ولحد دلوقت المتطوعين صامدين. لكن لحد إمتى؟ بعت لهم آخر صندوقين

(32) هكذا جاءت الوقائع في المذكرات، بهذه التفاصيل.

obeikandl.com

ذخيرة خفيفة كانوا هنا، ودلوقت مستني الإمداد والأوامر.

دخل المراسلة وأدى التحية ثم قال:

- نعمة اللّه بك وفؤاد بك ثابت وصلوا وطالبين سعادتك يا أفندم.

قام «جمال» متلهفًا والتقط مسدسه من فوق المكتب وثبته في قرابه وهو يتجه مسرعًا مع المراسلة، آملًا أن يكون القرار قد اتخذ. قابله «نعمة اللّه» بفتور، فقد وصل تعليق «جمال» على الإشارة الأخيرة لمسمعه. أخبره «نعمة اللّه» أن قرار الهجوم قد اتخذه اللواء «المواوي» فور تمكنهم من الاتصال به، لكنهم ما زالوا في انتظار إمدادات الذخيرة، كما أخبره بأن الهجوم سيكون مشتركًا مع الكتيبة الأولى التي أصبح «نعمة اللّه» يقودها، ولن يكون الهجوم قبل الغد.

قبض «جمال» كفه بعنف كاد يدميه وهو يكظم غيظه. وأدى التحية وهو يهم بالانصراف، قبل أن يستوقفه «نعمة اللّه» مناديًا:

- صاغ «جمال».

- أفندم.

الصاغ «زكريا محيي الدين» من الكتيبة الأولى هيكون قائد العملية.

فهم من فوره أن هذا هو عقاب «نعمة اللّه» أو ربما «المواوي» نفسه على تعليقه في الإشارة الرسمية. لكن

obeikandl.com

هذا لم يكن ما يهمه الآن، الأهم هو الخروج فور وصول الذخيرة، وقبل أن تنفد ذخيرة المتطوعين فيتمكن العدو من بناء دفاعاته، وتصبح مهمتهم في تحرير التلة المرتفعة أصعب.

في اليوم التالي خرج «جمال» تحت قيادة صديقه «زكريا» وبقوات مشتركة من الكتيبتين الأولى والسادسة! يفهم قرار تكديره! ولا يضايقه أبدًا أن يكون تحت قيادة صديقه، وأحد الضباط الأحرار! بالطبع كانت حقيقة علاقته بزكريا خافية على «نعمة الله»، ولهذا ظن أنه بهذا يضايقه. لكن «جمال» لم يفهم أبدًا لماذا تكون القوات خليطًا بين كتيبتين، التفاهم بين القوات سيكون أقل بكثير، ومعنويات كتيبته في السماء بعد تحريرها نفس الموقع منذ أربعة أيام، وصارت خبيرة بأرض المعركة! على أي أساس تم هذا التشكيل الجديد؟

وصلوا للخليل، فوجدوا في انتظارهم أمرًا بتأجيل الهجوم من الساعة 16:00 (كما خطط «جمال» في الهجوم السابق) إلى أول ضوء من اليوم التالي. كان صديقه «كمال بشارة» بجواره، فعلق «جمال» قائلًا:

- نفس الخيال العقيم!! فرصة ليلة كاملة للعدو لإقامة تحصينات وأسلاك! وهجوم مع أول ضوء، في ميعاد تقليدي هيكون العدو فيه على أتم استعداد.
- الظاهر «نعمة الله» معجبوش انتصارك في المجحز يا «عبد ناصر»!! إصرار غريب على تغيير التشكيل

obeikandl.com

والميعاد وكل التفاصيل! لو لاحظت غيروا مواقع المشاة والحمالات في خطة الهجوم كمان.

قالها «كمال» وهو يبتسم بمرارة!

افترش «جمال» مع «زكريا محيي الدين» بطانية ليرقدوا عليها معًا ويتدثروا بالثانية. وفي تمام الثالثة صباحًا كانت نوبة الصحيان. واستغرق الأمر دقائق حتى انتظم طابور القوات، وبدأ التحرك نحو خربة المجحز.

كان الهجوم مخططًا في تمام سعت 00:05، ولكنه تأخر للسابعة صباحًا لأسباب تتعلق بتوافر ذخيرة الهاون، وكان تأخر الموعد مشكلة! حيث أصبح اتجاه شمس الصباح في عيون المهاجمين. بدأ الهجوم بمدفعية الهاون ونيران الفكرز، لكن جماعة مشاة وحمالات الكتيبة الأولى فشلت في اقتحام البلدة، ورد عليها العدو بنيران عنيفة. اقترح «جمال» على «زكريا» أن يستدعوا الشاويش «عبد الفتاح» لكنه رفض أول الأمر، حرصًا على معنويات حمالات كتيبته. كرر «جمال» اقتراحه بعد فشل محاولة الاقتحام الثانية في السابعة والنصف صباحًا:

- الشاويش «عبد الفتاح» ورجالته عارفين الأرض كويس يا «زكريا»!! نستدعيه وهيكون هنا خلال خمسين دقيقة.

- خلاص يا «جمال».. استدعي الشاويش عنتر بتاعك يا سيدي.

إنت بتقول فيها؟ هتشوف لما ييجي إنه عنتر فعلًا.

obeikandl.com

أرسل «جمال» الإشارة طالبًا حمالات كتيبته، وسحب «زكريا» الهجوم وأوقف العملية، مخطرًا القوات بإعادة الهجوم في تمام الثالثة عصرًا[33].

وصل الشاويش «عبد الفتاح» بحمالات الكتيبة السادسة في غضون أقل من ساعة من استدعائه، وبدأت محاولة الاقتحام لثالث مرة بعد عشرين دقيقة من القصف بالهاون من جانب القوات المصرية، وكشف العدو نيرانه المضادة، لكن الشاويش «عبد الفتاح» تمكن من اقتحام البلدة من جديد!! بينما دخل «غالي مسيحة» بقوات مشاة الكتيبة الأولى، واتخذوا مواقعَ دفاعية، قبل أن يصدر قائد العملية أوامره قائلًا:

- مشاة الكتيبة الأولى هتستمر في مواقعها لتأمين المجحز. بقية القوات تنسحب لمواقعها.

ثم التفت لجمال وهو يقول هامسًا:

- معلش يا «جمال»! أوامر «نعمة الله» إن قوات من كتيبتنا هي اللي تستمر في المجحز! عاوز ياخد فضل تحريرها طبعًا.

- المهم نحافظ على اللي حققناه يا «زكريا».

ابتسم «جمال» و«كمال بشارة» وهما يتبادلان النظرات ولم يعلق أحدهما، وإن لم يسمع «كمال» تفسير «زكريا»، فقد كان مفهومًا للجميع أن قائد الكتيبة الأولى يريد الاحتفاظ بقواته في الموقع لينسب لنفسه

(33) تفاصيل المعركة ووقائعها بما فيها فشل الهجوم الأول حقيقية.

obeikandl.com

الفضل في معركة المجحز الثانية .. لم يكن يعرف أن القدر يدخر معركة المجحز الثالثة .. وبأقرب مما توقع الجميع.

قام العدو بهجوم ليلي لم تثبت أمامه مشاة الكتيبة الأولى، وانسحب بها قائدها بعد ساعة من تبادل إطلاق النيران. وصدرت الأوامر من قيادة اللواء بتحرير المجحز من جديد وبمشاركة العديد من الكتائب، وأعلن قائد اللواء أنه بنفسه سيقود العملية!! ولكنه استغرق ثلاثة أيام ثمينة في إعداد قوة الهجوم! عرض خلالها «جمال» على أركان اللواء أن يشارك مع القوات المهاجمة لأنه يعرف المكان جيدًا، لكن الإجابة كانت الصلف والكبرياء! وكانت النتيجة هي فشل الهجوم الثالث الذي تأخر كثيرًا، بعدما أقام العدو تحصيناته على مداخل القرية، ليسد المنفذ الوحيد الذي كانت الحمالات تعبر منه، وتصبح البلدة محصنة بالخور الطبيعي فضلًا عن تحصينات العدو المقامة حديثًا.

عاد «جمال» بعد وصول معلومات فشل الهجوم الثالث لغرفته، تلك الغرفة في المعسكر الإنجليزي المهجور، والتي كانت بلا سقف ولا أبواب ولا نوافذ، وكان المسيطر عليه هو السؤال الذي أغضب الجميع عندما أفلت منه في الإشارة: معركة التحرير الأولى كانت حربًا! مفهومة الدوافع والأهداف والتكتيك! كل ما جرى بعدها من فقدان الموقع والتخاذل في استرداده، ثم إعداد خطة كيدية، ثم الحرص على المجد الشخصي الذي عرضها لاحتلال العدو للمرة الثالثة، ثم استنفاد الجهد في حشد قوات كبيرة، ورفض انضمام القوات التي خبرت

أرض المعركة، ومن ثَمَّ .. فشل الهجوم واستقرار العدو في المجحز! كل هذا .. هل كان حربًا أم هزلًا؟ بدا له التخطيط على مستوى القيادة مشبهًا غرفته تلك! لا يغني ولا يحمي! كان هزلًا بالطبع، لكنه هزل بمذاق النيران والدماء.

الصاغ جمال عبد الناصر أمام غرفته المهدمة في عراق المنشية

obeikan.com

(10)

دماء على دفتر النكبة

الزمان: ٨ أكتوبر

المكان: الفالوجا

في يوم الجمعة الثامن من أكتوبر، كان «جمال» في غرفته يكتب يومياته، وفيها ملاحظاته عن تحركات العدو، كتب في ذلك اليوم:

«طلبت وضع سرية بالكتيبة وسرية بالدرايمة، وقلت إن اليهود بنشاطهم في «ذكرين» و«دير الريان» في «آنستا»، ونشاطهم في «المجحز» وفي «أبو جابر» في الجنوب .. ينوون على ما أعتقد فتح طريق في هذا القطاع. بينت ذلك لفؤاد بك ثابت وصلاح سالم وعبد الفتاح فؤاد».

كان يكتب وهو يشرب الشاي، استعداد للخروج مع إحدى السرايا في مهمة إزاحة العدو عن موقع احتله وحصنه على طريق عراق المنشية - بيت جبرين، وفجأة .. ارتجت الغرفة من حوله بعنف! كان هناك انفجار قريب، لكنه لم يصب الغرفة نفسها بأي أذى، سوى سقوط مصباح الكيروسين (لمبة الجاز) الذي كان «جمال» يكتب على نوره الواهن يومياته، وانكسار زجاجته! جمع «جمال» قطع الزجاج المنتثرة، فجرحت شظاياها يده، وسقطت قطرات من دمه على غلاف دفتر اليوميات.

هل كانت تلك الواقعة رمزًا قدريًا لمستقبل «جمال عبد الناصر»؟ هل كان قدره أن يجمع شظايا هذا الوطن العربي، لتصطف بوجه العدو، فتطاله بعض تلك الشظايا بالجراح؟ ربما!! هل كان يعلم أن تلك الدماء ستعيش بعد صاحبها، لتكون مع أوراقه شاهدًا له، يخرج للنور بعد ستين عامًا؟ المؤكد أنه لم يكن يعلم.

لكن تلك الدماء كانت لها دلالة أخرى مؤكدة، فقد كانت القذيفة التي ارتجت لها غرفته هي أول قذيفة دبابة تسقط في فلسطين! تلك الدبابات التي غيرت - مع الطائرات رباعية المحركات - مجرى الحرب.

فقد استدعي «جمال» لغرفة الرياسة ليرد على اتصال تليفوني من قائد السرية المرابطة أمام مستعمرة «جات» اليهودية. ومن الطرف الآخر جاءه الصوت يحمل المفاجأة:

- العدو بيتقدم بالدبابات!
- دبابات!!! إنت متأكد؟

ضرب «جمال» رأسه بيده، فلا شك أن خطأين فادحين قد ارتكبا! الأول عدم قدوم الدبابات المصرية لفلسطين، والثاني عدم الاستعداد بمدافع مضادة للدبابات. أُجيب «جمال» عندما سأل قائد اللواء من قبل عن سبب عدم اصطحاب القوات المصرية للدبابات:

- الدبابات دخلت الورش في القاهرة علشان تتدهن وتتجهز لموكب المحمل الشريف، كمان أرض المعركة في فلسطين فيها مرتفعات وتلال وغير مناسبة لمعارك الدبابات.

obeikandl.com

ولهذا السبب نفسه طلب قائد اللواء من «جمال» أن يترك المدافع المضادة للدبابات في غزة ولا يجلبها مع الكتيبة لأسدود ثم بيت جبرين وعراق المنشية، فقد قال له أنها «لا لزوم لها في هذه المعركة»!

«هاهي الدبابات في فلسطين تخوض معركة أمام لحمنا العاري يا سيادة اللواء».

هكذا فكر «جمال» وهو يلعن سوء التخطيط، والقصور المريب في جمع المعلومات من قبل جهاز التحري والاستطلاع في الجيش! كيف دخلت هذه الدبابات إلى فلسطين، ومتى تم تدريب العدو عليها؟ وكيف ظهرت أمامنا فجأة في عراق المنشية؟ هل كانت تلبس طاقية الإخفاء مثلًا؟ أم على عيون القوم أقفالها؟

بعد تلك الليلة وما كتبه «جمال» في مذكراته، توالت الأحداث سريعًا؛ فكل الخروقات السابقة لوقف إطلاق النار كانت عادة في صورة معارك حول نقاط محددة، وكانت كل معركة تنتهي بزيارة من لجنة الهدنة وتجديد وقف إطلاق النار! لكن العدو هاجم هجومًا مفتوحًا في مختلف المواقع يوم 16 أكتوبر، وأفاده قطعًا استخدام مدافع الماكينة من الطائرات رباعية المحركات، واستعمال الدبابات للمرة الأولى! ورغم ما كبدته القوات المصرية والسودانية من خسائر فيها، كان مدده لا ينتهي! وتوالت سيطرته على الطرق تدريجيًا، وركز القصف الجوي والمدفعي على الفالوجا، وإن لم تمكنه القوات المصرية من احتلالها أبدًا، فقد كانت الكتيبة السادسة مرابطة على بعد بضعة كيلومترات

منها ، وبالقرب من مواقعها تمركزت الكتيبتان الأولى والثانية! لكنه استطاع تطويق الكتائب الثلاثة من كل جانب، هكذا أصبح قطاع الفالوجا محاصرًا اعتبارًا من يوم 17 أكتوبر 1948م. وبدأت القوة المصرية المحصورة هناك تعاني من نقص حاد في الذخيرة والإمدادات! أصبح الصاغ «جمال عبد الناصر» تحت الحصار!

تهجير الفلسطينيين من قراهم على يد عصابات اليهود

obeikan.com